ديوان
مالك بن الريب
حياته وشعره

تحقيق

الدكتور نوري حمودي القيسي

مستل من "مجلة معهد المخطوطات العربية" مج 15، جـ 1

ديوان

مالك بن الريب

لسان العرب

مقدمة

اسمه ونسبه :

مالك بن الريب بن حَوْط بن قُرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقُوص بن مازن بن عمرو بن تميم[1] ، وكنيته أبو عُقْبة[2] ، وأمه شَهْلة بنت سَنيح بن الُحرّ بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن[3] . وقد أشار إليها فى بعض أبياته عند ما أحَسّ بالموت :

تُسائل شَهْلةُ قفَّالها ... وتسأل عن مالك ما فعَلْ

نوى مالك ببلاد العدوْ ... وِتَسفى عليه رياح الشّمل

لذلك شَهْلة جَهَّزتِني ... وقد حان دون الإياب الأجل

وأشار إليها فى يائيته المشهورة .

---

(١) أبو الفرج : الأغانى ٢٢/٣٠٤ (دار الثقافة) . والقالى : ذيل الأمالى ١٣٥ والمرزبانى : معجم الشعراء ٢٦٥ ، ويسقط محمد بن حبيب فى المحبر ٢٢٩ عمرو بن تميم الجد الأخير ، أما البكرى فى السمط ١/ ٤١٨ فيسقط حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص .

(٢) البكرى : السمط ١/٤١٩ ولم أجد فى أخباره أو شعره ما يدل على هذه الكنية .

(٣) القالى : ذيل الأمالى ١٣٥ . ووهم المرزبانى فى معجم الشعراء ٢٦٥ فى ذكره بعض الأبيات حيث قال : ولما أحسّ بالموت قال يذكر ابنته شَهْلة .

نشأته :

أما نشأة مالك فقد كانت بادية بنى تميم بالبصرة مسرحاً حرًّا لها[1] ، فقد رعته وهو يمارس هوايته الأولى أحسن رعاية ، وربما كانت لخصائص مالك وصفاته التى ذكرها القدامى دوافع أصيلة فى تزعم طائفة من اللصوص ، متخذاً منهم فئةً تمارس نشاطاً اتفقوا عليه ، وخضعوا لنظامه ، واندفعوا فى تحقيق رغباتهم من خلال هذا النشاط . ولم يقتصر نشاط مالك على بادية بنى تميم وحدها ، وإنما امتدّ حتى وصل مكة وأطرافها . فقد ذكر ابن قتيبة أنه حبس بمكة فى سرقة ، فشفع فيه شماس بن عقبة المازنى فاستنقذه ، وهو القائل فى الحبس[2] :

أتلحق بالريب الرفاق ومالك ... بمكةَ فى سجنٍ يُعنّيه راقبه

وتجمع المصادر القديمة على أن مالكاً كان فاتكاً لصًّا ، يصيب الطريق مع شظاظ الضبى ، الذى يضرب به المثل فيقال : ألصُّ من شظاظ[3] .

ويذكر المرزبانى أنه كان ظريفاً أديباً فاتكاً ، أصاب الطريق مدة ثم نسك فآمنه بشر بن مروان[4] . وعدّه ابن حبيب من فتاك الإسلام[5] .

أما ياقوت فيذكر أن لمالك بن الريب المازنى فى يوم طاسى ويوم النهر بلاء حسناً ، معتمداً على ما قاله السكرى فى شرح قوله[6] :

---

(١) الأغانى : ٢٢/٣٠٤ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٥٣ .

(٣) وفى مجمع الأمثال ٢/٢٥٧ ، ألص من شظاظ : ومن سرحان .

(٤) المرزبانى : معجم الشعراء ٢٦٥ .

(٥) ابن حبيب : المحبر ٢١٣ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان [طاسى] .

يا قلّ خير أمير كنت أتبعهُ أليس يُرهبني أم ليس يرجوني
أم ليس يرجو إذا ما الخيل شمّصها وقع الأسنّة عطفي حين يدعوني
لا تحسبنا نسينا من تقادمه يوماً بطاسيَ ويوم النهر ذا الطين

وتجمع المصادر التي ترجمت له على أنه كان من أجمل العرب جمالاً، وأبينهم بياناً ، وأحسنهم ثياباً ، فلما رآه سعيد أعجبه[1] .

أما الجوانب الأخرى من حياته فقد حدّد بعض معالمها شعره ، فهو صاحب حَرب لا يكلف بغيرها ، وهو لا يثني حفيظته في الوغى ، ولا يتقي في السلم جرّ الجرائم . ولا يتأنىّ في العَواقب ، وإنما هو رجلٌ يقدم على غمرات الموت ، ولا يهاب تفاقم الحوادث . وقد تمثلت هذه الصفات بارزة واضحة في حادثة رواها أبو الفرج ، وقد جرت لمالك وهو مع سعيد بن عثمان في طريق خراسان، فقال : انطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن فطلبوا صاحب إبلهم فلم يجدوه . فقال مالك لغلام من غلمان سعيد : أدْنِ مني فلانة ، لناقة كانت لسعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبسّ بها حتى درّت ثم حلبها ، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره فانطلق الغلام إلى سعيد فأخبره . فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي فتكون فيها ، وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك ، وأضع عنك الغزو . فقال مالك في ذلك[2] :

إني لأستحيي الفوارس أن أرى بأرض العدا بَوّ المخاض الروائم

إلخ . . . فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل ، وأنه صاحب حرب فانطلق به معه .

---

(١) ينظر الأغاني ٣٠٥/٢٢ وذيل الأمالي ١٣٥ والخزانة ٣٢١/١ .
(٢) أبو الفرج : الأغاني ٣١٤/٢٢ .

أما صلابته وشدته فقد عرفناها فى أخباره التى روتها لنا كتب الأخبار ، فهو فاتك مشهور ولص امتهن الحرفة وعرفَ مسالكها ، وخبر طرائقها ودروبها ، وقد تنامت فى نفسه روح التمرد والخروج ، حتى أصبحت قيادته أمراً شاقاً . وقد أفصح عن هذه النفس المتمردة فى يائيته المشهورة فقال :

ولا تحسدانى بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العَرض أن توسعا ليا
خذانى فجرّانى ببردى إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْباً قياديا

وقد رسم مالك من خلال يائيته الجوانب البارزة التى اتصف بها ، من ثبات فى المعركة إذا أدبرت الخيل ، واستجابة للداعى إذا عزّ النصير ، وإطعام إذا أصبح الطعام محموداً ، وعفة عن شتم ابن العم ، وصبر على القرن فى الوغى ، ومثُلٌ أخرى وصفها ووضح أبعادها ، وهى صوَر تذكرنا بحديث فرسان الشعراء الجاهليين أمثال عنترة وعامر بن الطفيل ودريد ابن الصمة :

وقد كنت عطّافاً إذا الخيل أدبرت ... سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى ... وعن شتمىَ ابن العم والجار وانيا
وقد كنتُ صبّاراً على القرن فى الوغى ... ثقيلاً على الأعداء عضباً لسانيا

ولم ينسَ مالك — وهو فى أعنف لحظات الموت — فروسيته وفتوته ، لأنه بطل عاشت فى نفسه أمثولة البطل . فأدرك حقيقتها ، وتلمّس أبعادها وتحسس الدور الخطير الذى ألقته تبعات النظم القبلية على كواهل فتاها المرتقب . لقد تجسّدت هذه الصورة أمامه وهو يرقب شبح الموت ، ويتمثل صورة الفناء . فعزّت عليه الحياة ، وارتفعت فى نفسه فداحة الصورة المرتقبة . وهنا وجد الحاجة ماسة للبكاء ، والسبب داعياً للنحيب ، فمدّ نظره بين

المتاهات المقفرة ، يطلب الأنيس ، وينشد الصديق ، إلا أن الأرض الغريبة لم ترحم وحدته ، والمهابط الوعرة لم تكرم وفادته . فعرف فى سيفه الضحية الكريمة ، وفى رمحه المضاجعة الآمنة ، وفى فرسه الوفاء النبيل . وقد بقيت هذه الصفات تلازمه وتعيش فى دمه ، وقد أحسن التعبير عنها فى قوله :

تذكرت من يبكى علىّ فلم أجد   سوى السيف والرمح الردينىّ باكيا
وأشقر حنذيذٍ يجر عِنانه   إلى الماء لم يترك له الدهرُ ساقيا

وتظل هذه الصفاتُ ملازمة له فى كثير من أبيات هذه القصيدة .

ولا بد لى وأنا أتحدث عن شخصية الشاعر . من أن أشير إلى ظاهرة بارزة فى شعره ، فإلى جانب مغامراته التى كانت تشكل الوجه العام فى حياته ، كانت نفحات الحب والحنين تتعالى من نفسه الوالهة ، وكانت هذه النفحات تمثل الحب الحقيقى الذى كان يداعب قلوب الشعراء الفرسان ، لأنه حبٌّ اقترن بالمباهاة والصمود والمصابرة :

وقد تقول وما تخفى لجارتها   إنى أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يَصلاها ويُسعرها   تراه مما كَسَتْه شاحباً وَجِلا

وكثيراً ما كان الحنين إلى أهله ووطنه يحزّ فى نفسه وهو فى بلاد الترك ، فيثيره شجو الحمام ، ويحرك فى نفسه عواطف الحنين فيقول :

تذكرنى قبابُ الترك أهلى   ومَبْداهم إذا نزلوا سَناما
وصوت حمامة بجبال كِسٍ   دعت من مطلع الشمس الحماما
فبتُّ لصوتها أرِقاً وباتت   بمنطقها تُراجعنا الكلاما

عائلته :

يذكر مالك فى يائيته أخاله يدعى « عمران » ، وعجوزاً (وهى أمه كما يبدو) وشيخين لم يُفصح عنهما ، ويُسمى « كثيراً » ، ولم يُعرف من كثير

هذا ، ويذكر ابن عم وخالٍ ، وربما أورد ذكرهما من باب الاعتزاز بالأهل والأقارب عندما يحس المرء بشدةٍ أو نائبة ، ثم يورد ذكر نسوة بالرمل لو شهدته فى حالته التى هو عليها ، لبكين ، وفدّين الطبيب المداويا ، وقد حدّد فى القصيدة علاقة كل واحدة منهن به فقال :

وبالرمل منا نسوة لو شهدننى بكين وفدّين الطبيب المداويا
فمنهن أمى وابنتاى وخالتى وباكية أخرى تهيج البواكيا

وقد وفق الشاعر فى كنايته اللطيفة عن زوجته ، لأنها حقاً تثير عواطف الباكيات ، وتهيج نوازع الألم فى قلوبهن ، لما تبديه من مشاعر ، وتظهره من أمارات .

وأشار مالك إلى ابنته فى أكثر من موضع ، وصوّر تعلقها بصور عاطفية دقيقة ، تنمّ عن الرقّة التى تملكته ، وهو يعرف مشقّة الطريق ، ومتاعب المخاطرة ، ومرارة اليتم التى كان يُحس بها قبل ابنته ، ويستطعم أذاه قبل أن تتذوقه ابنته ، فعندما خرج مع سعيد تعلقت بثوبه ، وبكت وقالت له : أخشى أن يطول سفرك ، أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى . فبكى وأنشأ يقول :

ولقد قلت لابنتى وهى تبكى بدخيل الهموم قلباً كئيباً
وهى تذرى من الدموع على الخدّين من لوعة الفراق غروبا
عبرات يكدن يجرحن ما جُزْ نَ به أو يدعن فيه ندوبا
حذر الحتف أن يصيب أباها ويُلاقى فى غير أهل شعوبا
اسكتى قد حززت بالدمع قلبى طالما حزّ دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدافع عنِّي ريب ما تحذرين حتى أؤوبا

(١) أبو الفرج : الأغانى ١٩/١٦٧ (ساسى) .

وتتضح من خلال مقطعاته وأبياته التى ذكر فيها أمه وابنته وبقية أفراد عائلته، العواطف الأبوية ، والروابط العائلية المتينة التى كانت تشده إلى كل فرد من أفراد عائلته ، على الرغم من حياة التشرّد والصعلكة التى كان يمارسها . وكادت تصبح هذه الروابط ظاهرة بارزة المعالم ، بيّنة الخطوط والسمات فى شعره ، لأنها تجلّت فى أكثر من صورة ، وارتسمت فى أكثر من موقف . ولمعت بوارق هذا التواجد فوق روابى البوادى العربية التى كان الشاعر المشرد يذرف فى طيّات رمالها دموع الأب المنقطع ، ويدفن فى أعماق وديانها زفرات اللص الحزين .

صحبته لسعيد بن عثمان :

وتكشف أخبار مالك من خلال أحاديث الأخباريين والرواة عن صحبته لسعيد بن عثمان بن عفان لما ولاّه معاوية خراسان [سنة ست وخمسين] ويبدو أن هذه الصحبة كانت بعد حياة حافلة بالتشرد والصعلكة وقطع الطرق . وقد ذكر أبو الفرج جانباً من هذه الحياة فقال : كان مالك ابن الريب يقطع الطريق هو وأصحاب له : منهم شظاظ — وهو مولى لبنى تميم وكان أخبثهم — وأبو حَرْدبة ، أحد بنى أُثالة بن مازن ، وغويث ، أحد بنى كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز :[1]

اللهُ نجّاك من القَصيم وبطْنَ فَلْج وبنى تميم
ومن بنى حَرْدبة الأثيمِ ومالك وسيفه المَسموم
ومن شِظَاظ الأحمر الزنيمِ ومن غويث فاتح العُكوم[2]

(١) أبو الفرج : الأغانى ٢٢ / ٣٠٥ — ٣٠٩ .

(٢) رويت الأبيات فى معجم ما استعجم [فلج] وبعضها فى اللسان [شظظ] وفى روايتهما فى المصدرين اختلاف .

فساموا الناس شراً ، وطلبهم مروان بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهربوا . فكتب إلى الحارث بن حاطب ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة ، فطلبهم ، فهربوا منه . وبلغ مالك بن الريب أن الحارث ابن حاطب يتوعده فقال :

تألَّى حِلْفةً فى غير جُرْمٍ أميرى حارث شِبْهُ الصرار

وهى قصيدة طويلة .

فبعث إليه الحارث بن حاطب رجلاً من الأنصار فأخذه وأخذ أبا حَرْدبة ، فبعث بأبى حَرْدبة . وتخلف الأنصارى مع القوم الذين كان مالك فيهم ، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكاً . فتغفل مالك غلام الأنصارى وعليه السيف فانتزعه منه ، وقتله به . وشد على الأنصارى فضربه بالسيف حتى قتله ، وجعل يقتل من مكان معه يميناً وشمالاً ، ثم لحق بأبى حردبة فتخلصه ، وركبا إبل الأنصارى ، وخرجا هاربين حتى أتيا البحرين ، واجتمع إليهما أصحابهما . ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث . الذى أحدثه مالك ، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان فاستصحبه ، فقال مالك فى مهربه ذلك(١) :

أحقًّا على السلطان أما الذى له فيعطى وأما ما يراد فيمنع

إلخ . . .

وصحبة مالك لسعيد بن عثمان تُعَدّ المرحلة الأخيرة فى حياة هذا الشاعر

---

(١) الخبر فى الأغانى ٢٢/٣٠٥ — ٣٠٩ ووردت أجزاء من الخبر فى المحبر ٢٣٠ وذيل أمالى القالى ١٣٥ وبلدان ياقوت ٢/٢٣٣ وفى روايتها اختلاف .

الذى اختار طريق الجهاد والفتح بعد أن جرّب الحياة ، وخبر أساليب الفتك . ويبدو أن السبب الذى من أجله سلك مالك هذا المسلك هو الحاجة التى أقعدته عن مكافأة الإخوان ، والعجز عن المعالى ، ومساواة ذوى المروءات . وقد صوّر مالك هذه النوازع عندما استدعاه سعيد بن عثمان وسأله عن الدواعى التى حملته على قطع الطرق والعبث والفساد[١] . فمالك كما أراه فارس يتمثل فيه خلق الفروسية . وكانت الرغبة فى نفسه ملحة لهذا الخلق ، ولكنه لم يجد الوسائل التى تشبع هذه الرغبة ، فانطلق يمارس نشاطه فى إطار مفاهيمه التى استجابت لها نفسه . وهى مفاهيم خرجت بمالك عن القيم الحقة التى عرفها الفرسان من الشعراء .

وتعد صحبته لسعيد تحوّلاً كبيراً أصاب حياته ، واتجاهاً مغايراً لما ألفت نفسه ، لأنه تحوّل من الضلالة إلى الهدى ، وتغيّر من اللهو العابث ، والتشرد السائب إلى الهداية الواعية والإيمان الموجه الذى اقتنع به .

ولا بد أن تكون علاقة مالك بالسلطان قبل انخراطه هذا علاقة غير ودّية ، لأنه خارج على نظام الدولة ، عابث بأمنها وسلامها ، متمرد على ولاتها وعمالها . وقد انعكست بعض هذه العلاقات فى مقطعاته الشعرية . وقد روت بعض المصادر صلة سيئة لمالك بالحجاج . ونحن لا نقف عند هذه النقطة من حياته ، لأننا لا نرى فيها نصيباً من الصحة ، سيئة كانت أو غير سيئة[٢] .

---

(١) الأغانى : ٢٢ / ٣٠٤ — ٣٠٥ وذيل أمالى القالى ١٣٥ والخزانة ١ / ٣٢١ .

(٢) يذكر ابن قتيبة أبياتاً فى الشعر والشعراء ٣٥٤ يقدم لها بقوله : قالها يهجو الحجاج ، ويعيد الأبيات فى عيون الأخبار ١/٢٣٦ وثلاثة أبيات من من القطعة فى المعارف ٥٤٨ مع اختلاف فى الرواية ، ويعد المبرّد مالكا ضمن=

شعره :

تمثل قصيدة مالك اليائية التي رثى بها نفسه أشهر قصائده ، لما حصلت عليه من شهرة ، وماحفلت به من معان وصور ، وقيل فيها من أقوال ، تتعلق بأسباب قولها ومناسبتها ، وما حيك حول هذه الأخبار من أساطير ، وماأثير حولها من شك . فقد ذكر ابن قتيبة أن مالك بن الريب لحق بسعيد بن عثمان ابن عفان ، فغزا معه خراسان ، فلم يزل بها حتى مات . ولما حضرته الوفاة قال هذه القصيدة[1] . وقال اليزيدي : حدثني محمد بن الحسن الأحول قال : سمعت المدائني يقول : رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موته

= الأشخاص الذين هربوا من الحجاج فيقول : وممن هرب منه مالك بن الريب المازني ، أحد بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم (الكامل ٢/٤٤٦ ويذكر ستة أبيات) ، ونقل صاحب الخزانة نص ابن قتيبة (البغدادي ١٠/٣٢١) . ومن الجدير بالذكر أن الأبيات التي نسبت لمالك — واختلف عددها — موجودة في ديوان الفرزدق (الديوان ١٦٠ صادر) وهي كذلك في حماسة أبي تمام (المرزوقي ٢/٦٧٦) و (التبريزي ٢/١٠٩) والغرابة في هذه الأخبار يوجبها البعد الزمني بين مالك والحجاج ، فقد ولي الحجاج العراق دون خراسان وسجستان سنة خمس وسبعين (حوادث سنة ٧٥ في الطبري وابن الأثير) ، واستعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان سنة ست وخمسين (حوادث سنة ٥٦) في المصدرين) . وعزل سنة سبع وخمسين ، وكانت وفاته سنة اثنتين وستين (نسب قريش / ١١١ ، ١٤١ وتهذيب ابن عساكر ٦/١٥٤) وهذا يعني أن الفرق بين مالك والحجاج حوالي ثمانية عشر عاماً أو أكثر ، فكيف تم اللقاء ، وكيف هرب منه ، وكيف هجاه ، وكيف؟؟ . وقد التفت إلى هذه الحقيقه الشيخ المرصفي في رغبة الأمل ٥/٢٥ .

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٧٣ .

بسنة[1] . وقال ابن عبد ربه : وقال مالك بن الريب يرثى نفسه ، ويصف قبره وكان خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه ، فإذا بأفعى فى داخلها فلسعته ، فلما أحسّ بالموت استلقى على قفاه ثم أنشأ يقول[2] . وقال أبو الفرج : مرض مالك بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان فى طريقه ، فلما أشرف على الموت تخلف معه مرّة الكاتب ورجل آخر ، من قومه من بنى تميم . . ومات فى منزله ذلك ، فدفناه . وقال قبل موته قصيدته هذه يرثى بها نفسه[3] . وذكر القالى أن مالكاً مكث بخراسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغُربته ، وقال بعضهم : بل مات فى غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رمق . وقال آخرون : بل مات فى خان فرثته الجان لما رأت من غربته ووحدته . ووضعت الجن الصحيفة التى منها القصيدة تحت رأسه ، والله أعلم أىّ ذلك كان[4] . وينفرد ياقوت بخبر مالك بن الريب وعلاقته بسعيد بن عثمان بن عفان فيقول : قال السكرى فى خبر مالك بن الريب : ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، فأخذ على فَلَجْ وَفُلَيج فمر بأبى حردبة الأثيم ومالك بن الريب ، وكانا لصّين يقطعان الطريق ، فاستصحبهما فصحبته مالك بن الريب المازنى ماشاء الله فلم ينلْ منه مما وعدّه شيئاً ، وأتبع ذلك بجفوة فترك سعيداً وقفل راجعاً فلما كان [بأبَرشهر] وهى نيسابور مرض فقيل له : أى شىء تشتهى ؟ فقال :

---

(١) اليزيدى : الأمالى ٤٢ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد ٣/٢٤٥ .
(٣) أبو الفرج : الأغانى ٢٢/٢٢٣ .
(٤) القالى : الذيل ١٣٥ .

أشتهي أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه ، أو أرى سُهَيلاً ، وَأخذ يرثي نفسه ، وقال قصيدة جيدة مشهورة [1] .

أما عن نحل القصيدة فقد نقل أبو الفرج عن أبي عبيدة قوله : الذي قاله مالك بن الريب ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ولّده الناس عليه » [2] .

ويبدو أن اختلاطاً وقع بين قصيدة عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وأفنون التغلبيّ ، وجعفر بن علبة الحارثي ، وقصيدة مالك ، لتشابه هذه القصائد في الوزن والقافية والغرض وتضارعها في بعض المعاني والصور والأفكار ، وربما أوحت هذه الأمور إلى الذين شكُّوا في بعض أبياتها ، معتقدين أن نحلاً أو تداخلاً وقع في بعض الأبيات ، فذهبوا هذا المذهب .

لقد رسم مالك من خلال هذه القصيدة الحقيقة التي يُحس بها المرء وهو يقابل المأساة ، ويشعر بالنهاية ، ويتلمّس أبعاد الحياة التي لابد لها من النهاية المحتومة . وهي حقيقة في الغالب يشوبها الخوف ، ويتناثر في طواياها التفكير المؤلم ، ويتراءى من بين زواياها اليأس المحض .

ومن الطبيعي أن تكون الصور غاية في الروعة ، ونموذجاً في الإبداع ، لأن الموضوع يهم الشاعر نفسه ، فهو صاحب المصير المحتوم ومَنْ أولَى برثائه منه . فلا غرابة إذا وجدنا العاطفة الصادقة تتدفق بغزارة ، وتنبعث بقوة ، مُجسّدة آماله في الحياة ، مصورّة نهايته التي أدرك أنه ملاقيها .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان [أَبَرْ شَهْر] .

(٢) أبو الفرج : الأغاني ٢٢/٣٢٤ .

أما الباقي من شعر مالك فقد عالج فيه موضوعات متعددة يغلب عليها الطابع المميّز لحياته التي استوطنت الصحارى، واستقرت في الشعاب المقفرة، إنَّ هذه الحياة جعلته يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالموصوفات المحيطة به، فالحيوانات التي يعرض لها هي حيوانات الصحراء التي اعتاد رؤيتها، وألِف مصاحبتها، والصور التي ينتزع صوره منها هي صور الأرض الفسيحة التي كان ينطلق فوقها بكل رحابة وجلد. وتحدث عن المواضع التي كان يَمرُّ بها، أو يقف عندها، أو يستقر فوقها. وتحدث عن الذئب والأسد، وصور الإبل والوحوش، وأشار إلى المهامة والرمال والرياح والظلام. وتُعد قصيدة مالك التي قالها في الذئب من القصائد الجديدة في فكرتها، لأن الشعراء القدامى كانوا يأتون على ذكر الذئب في مجالات متنوعة، وأبرز هذه المجالات التي عرض لها الشعراء الجاهليون، المبالغة في كرم الضيافة، لأنهم كانوا يجعلون من الذئب الجائع ضيفاً يقرُونه، ويأنسون به، وتجاوز بعضهم هذه الصورة إلى الزعم بأن الذئب كلمه. وما قصة ذئب أهبان بن أوس إلا دليل من أدلة ذلك[1]. ويتعرض امرؤ القيس للذئب فيصوّر لنا مقابلته له، وقد أضرّ به الجوع، فبدأ يعوى. ثم يرسم لنا بعض الصور العاطفية المتبادلة بينه وبين هذا الذئب[2]. ويقدم المرقش الأكبر صورة أخرى للذئب الذى عراه مستضيفاً فأكرمه كما يكرم الضيف. ويصور لنا فكرة الكرم الأصيل الذى يقدم للضيف مهما كان شكله، لايفرق بين تقديمه بين إنسان وحيوان[3]. وتعد الصورة التي قدمها الشنفرى من أروع الصور رسماً، لأوصافها الدقيقة، وتصويرها

(١) الجاحظ: الحيوان ١/٢٩٨، ٣/٥١٣، ٤/٨٠، ٧/٥٠، ٢١٧.

(٢) ينظر ديوان امرئ القيس / ٣٦٣ — ٣٦٤.

(٣) المفضل: المفضليات ٢/٢٦.

الموفق لحركات هذا الحيوان وعاداته . وما يعتريه من أحوال إذا انتابه الجوع ، ولفه الطوى . ولم تكن الصورة غريبة عن الشاعر ، لتقارب السبيل الذى يسلكه الذئب والشنفرى من أجل البقاء والحياة [1] .

أما مالك فقد كانت صورته للذئب جديدة ، ومقابلته له مغايرة ، للصور التى عودنا عليها الشعراء القدامى ، والنتيجة التى ختم بها حكايته مخالفة للنهايات التى انتهت إليها قصص الشعراء الذين سبقوه . وهذا ما جعلنى أقف هذه الوقفة ، وأسرد هذا السرد ، لأوضح الشكل الجديد الذى ارتسم فى ذهن الشاعر لهذا الحيوان . فقد ذكر أبو الفرج أنه بينما مالك بن الريب ليلة نائم فى بعض مغازاته ، إذ بَيّته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد فلم يبرح ، فوثب إليه بالسيف فضربه ، فقتله ، وقال مالك فى ذلك [2] .

أذئب الغضا قد صرت للنـاس ضحكة
تَقَـاوَى بك الركبان شرقاً إلى غرب
فأنت وإن كنت الجرىء جنـانه
منيت بضرغام من الأُسدِ الغُلْب

الخ ..

إن الصورة التى يقتل فيها الذئب جديدة بالنسبة للشعراء .

وظاهرة أخرى تتصل بظـاهرة وصفه للذئب ، وتتمثل هذه الظـاهرة فى أبياته التى ذكر فيها الرجل الأسود ، الذى أتاه فى بعض هناته وهو نائم ، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف . لقد سرد فى هذه القطعة قصة شعرية ، سار فيها وفق تسلسل الحوادث ، واتصال الأخبار ، وقد وفق فى السرد توفيقاً

(١) الزمخشرى : أعجب العجب ١٦ — ١٨ .
(٢) أبو الفرج : الأغانى ٢٢/٣١٥ .

كبيراً . ومن الجائز أن تكون الصورة غير حقيقيّة ولكن تفرده في الصحراء ، وتعوّده حياة الوحدة جعله يوحي لنفسه بهذا الخيال — وربما كانت ظاهرة حديثه عن الذئب من هذا الباب — فرسم الأشباح التي كانت تتأرجح بين الحقيقة والخيال ، رسماً متحركاً وبث فيه من روحه الغارقة في قيم المصاولة والمخاصمة ماجعله يقارب الحقيقة حتى يخيّل للقارئ أن الموضوع متكامل الأبعاد :

أدلجتُ في مهمه ما إن أرى أحداً حتى إذا حان تعريسٌ لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤني مهما تنم عنك من عين فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مُشعِرُه أخشى الحوادث إني لم أ كن وَكِلا
ما نمتُ إلا قليلاً نِمته شَتْراً حتى وجدتُ على جثماني الثقلا
داهية من دواهي الليل يبتني مجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره إلا توخيته والجرسَ فانخزلا

وقال مالك في ذلك أيضاً :

يا غاسلاً تحت الظلام مَطيّةً متخايلاً لابل وغير مخايل
إني أمختُ لشائك أنيابه متأنسٍ بدجى الظلام منازل

الخ ...

لقد كان شعر مالك مادة خصبة للمؤرخين ، استشهدوا ببعض أبياته لتأكيد بعض الوقائع ، وتثبيت بعض الحقائق . وكان شعره مادة للجغرافيين العرب وخاصة البكري وياقوت ، اعتمدوا المواضع التي ذكرها . فأورد البكري اثني عشر موضعاً ذكرت في شعره هي أَوْد ، جُمْران ، دَخْن ، تثليث ، الرقتان ، السمينة ، الشبيكة ، طاسى ، عنيزة ، قرقرى ، المنيفة ، وبار .

أما ياقوت فقد استشهد بها لأكثر من سبعين بيتاً على الرغم من قلة شعر مالك . وإلى جانب هذه الأهمية ، فقد كان شعره وثيقة مهمة اعتمدتها في جلاء كثير من حقائق شخصيته وكشف أمور غامضة من حياته ، عجزت عن أدائها الأخبار ، وسكتت عن رواتها المصادر — كما رأينا — .

إن هذه الخصائص التي وقف عندها القدامى من المؤرخين والجغرافيين واللغويين لم تجد مجالاً عند النقاد الأوائل ، ويبدو أن الإغفال قد أسدل على شعره ستائره . وربما كان لسلوكه الذي عرف به أثرٌ في ضياعه وإغفال شعره .

إن هذه الدراسة الموجزة لحياة هذا الشاعر تُعَدُّ خلاصة لما قدرت على جمعه من أخباره ، واستوحيته من أشعاره . وأرجو أن يوفق من يجد من أخبار الشاعر أو شعره في المستقبل إلى ما يكشف عن الجوانب الأخرى في حياة هذا الشاعر المضاع . والله الموفق .

— ١ —

حبس مالك بمكة فى سرقة ، فشفع فيه شَمّاس بن عُقْبة المازنى فاستنقذه ، وهو القائل فى الحبس :

[من الطويل]

١ — أَتَلْحقُ بالرّيبِ الرفاقُ ، ومالكٌ
بمكةَ فِي سجنٍ يُعَنّيه راقبُهْ

— ٢ —

[من الطويل]

١ — [و] إنْ أكُ مَضروباً إلى ثَوبِ آلف
من القَوم ، أُمْسَى وهو أمْدرُ جانبُهْ

— ٣ —

قال أبو عبيدة : لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان ، تعلقت ابنته بثوبه وبكت وقالت له : أخشى أن يطول سفرك ، أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى . فبكى وأنشأ يقول :

[من الخفيف]

١ — ولقد قلتُ لابنتى وهْيِ تبكى
بدخيلِ الهمومِ قلباً كئيبا

٢ — وهْيِ تَذرى من الدموع على الخدين (م)
من لوعةِ الفراق غرُوبا

٣ — عبراتٍ يكدن يخرجن ماجز
ن به أو يَدَعْنَ فيــــه ندُوبا

٤ — حذرَ الحتف أن يصيب أباها
ويُلاقى فى غير أهـلٍ شَعُوبا

٥ — اسكتى قد حززتِ بالدمع قلبى
طالما حَزّ دمعُكنّ القـــلوبا

٦ — فعسى الله أنْ يدافع عنّى
رَيْبَ ما تحذرينَ حتى أؤوبا

٧ — ليسَ شىء يشاؤه ذو المعـالى
بعزيزٍ عليه فادعى المجيبا

٨ — ودعى أن تقطّعى الآن قلبى
أو تُرينى فى رحلتى تعذيبا

٩ — أنا فى قبضة الإله إذا كنتُ (م)
بعيداً أو كنت منك قريبا

١٠ — كم رأينا امرءا أتى من بعيدٍ
ومقيماً على الفراش أُصيبا

١١ — فدعينى من انتحابك إنى
لا أُبالى ـ إذا اعتزمتُ ـ النحيبا

١٢ — حَسْبىَ الله ثمّ قرّبتُ للسـيـ
ـر علاةً أَنجِبْ بها مركوبا

وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم فى بعض مُغازاته إذْ بَيَّته ذئب ، فزَجره فلم يزدجر . فأعاد فلم يبرح ، فوثب إليه بالسيف فضربه فقتله . وقال مالك فى ذلك :

[من الطويل]

١ — أذئبَ الغَضا : قد صرتَ للناس ضحكةً
تُغادي بك الركبانُ شرقاً إلى غَربِ

٢ — فأنت وإنْ كنت الجرىء جَنانُه
مُنيْتَ بضِرْغامٍ من الأُسُدِ الغُلبِ

٣ — بمن لا ينام الليل إلاّ وسيفُه
رَهينةُ أقوام سِراع إلى الشغب

٤ — ألمْ ترنى - يا ذئب - إذْ جئتَ طارقا
تُخاتِلنى أنِى امرؤ وافر اللب

٥ — زجرتُكَ مراتٍ فلما غلبتَنى
ولم تنزجر نَهنهتُ غَرْبَك بالضرب

٦ — فصرتَ لَقًى لما علاك ابنُ حُرّةٍ
بأبيضَ قَطّاع يُنجى من الكَرْب

٧ — ألا ربَّ يومِ رِيبَ لو كنت شاهداً
لَهالكَ ذِكرى عند مَعمعة الحرب

٧ — ولستَ ترى إلا كَمِيّا مُجدَّلاً
يداه جميعاً تثبتان من الترب

٩ — وآخرَ يهوِى طائرَ القلب هارباً

وكنتُ امرءاً فى الهَيْج مجتمِعَ القلب

١٠ — أصول بذى الزّرين أمشى عِرَضْنَةً

إلى الموت ، والأقرانُ كالإبل الجُرْب

١١ — أرى الموتَ لا أنحاشُ عنه تكرّما

ولو شئتُ لم أركب على المركب الصعب

١٢ — ولكنْ أبت نفسى وكانت أبيّةً

تَقاعسُ أو ينصاعُ قومٌ من الرعب

— ٥ —

وقال مالك بن الريب المازنى :

[من الطويل]

١ — علىّ دماء البُدْن إنْ لم تُفارِقى

أبا حَرْدَب يوماً وأصحابَ حَرْدبِ

٢ — سَرَت فى دُجا ليل فأصبح دونها

مَفاوزُ جِمران الشُّرَيف وغُرّب

٣ — تطالع من وادى الكلابِ كأنها

وقد أنجدتْ منه فريدةُ ديدبِ

— ٦ —

[من الطويل]

١ — من الرمل رملِ الحُوش أوغافِ راسبٍ

وعَهدى برملِ الحوش وهو بَعيدُ

— ٧ —

وقال مالك بن الريب

[من مجزوء الكامل]

١ — العبدُ يُقرع بالعصا والحُرُّ يَكْفيه الوَعيدْ

— ٨ —

[من الوافر]

١ — يقول المُشفقون عليّ حتى
متى تلقَى الجنودَ بغير جُندِ ؟

٢ — وما مَن كان ذا سيف ودرعٍ
ـ وطابَ بنفسه موْتاً ـ بفردِ

— ٩ —

[من الطويل]

١ — ليهنِك أني لم أجدْ لك عائباً
سوى حاسدٍ ، والحاسدون كثيرُ

٢ — وأنك مثل الغيثِ أمّا نباتُه
فظِلٌّ وأما ماؤه فطَهورُ

— ١٠ —

[من الرجز]

١ — يستعذبون الموتَ ، وهو مُرُّ

٢ — إذا تنابيلُ الرجالِ ازْوَرّوا

٣ - وكرِهُوا مكروهَهُ ففرّوا

— ١١ —

قال مسلمة : قَدِمَ سعيد بن عثمان فقطع النهر إلى سَمَرْقَنْد، فخرج إليه أهل الصغْد فتواقفوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال . فقال مالك ابن الريب يذم سعيداً :

[من الطويل]

١ — ما زلتَ يومَ الصُّغْدِ تُرعَدُ واقفاً
من الجبنُ حتى خفتُ أن تَتنصَّرا[١]

٢ — وما كان فى عثمانَ شىء علمتُه
سوى نسله فى رهطِه حين أدبرا

٣ — ولولا بنو حربٍ لطُلّتْ دماؤكم
بُطونَ العَظايا من كُسيرٍ وأعورا

— ١٢ —

كان السبب الذى من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحابٌ له ، منهم شِظاظ ، وهو مولى لبنى تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حردبة أحد بنى أثالة بن مازن ، وغُويث أحد بنى كعب ابن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز :

الله نجاك من القصيم وبطْنِ فَلْجٍ وبنى تميم

الخ . . .

فساموا الناس شرّاً . وطلبهم مروان بن الحكم ، وهو عامل معاوية

(١) الصُّغْد : كورة قصبتها سمرقند .

على المدينة ، فهربوا . فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحى ، وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة ، فطلبهم ، فهربوا منه . وبلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعّده فقال :

[من الوافر]

١ — تَألَّى حَلْفةً فى غيرِ جُرْمٍ
أميرى حارثٌ شِبْهَ الصِّرار[1]

٢ — عَلَىَّ لأُجلَدَنْ فى غَيرِ جُرمٍ
ولا أُدْنى فينفعنى اعتـذارى

٣ — وقُلتُ وقد ضَممتُ إلىَّ جأشى :
تَحلَّلْ ، لا تألَّ علىَّ ، حارِ

٤ — فإنى سوف يكفينيك عزْمى
ونَصُّ العيسَ بالبلدِ القِفارِ[2]

٥ — وعَنسٌ ذاتُ مَعْجَمةٍ أمونٌ
عَلَنْداةٌ مُوثَّقـةُ الفَقارِ[3]

(١) الصرار : ما يشد فوق خلف الناقة من خيط .

(٢) النص : الاستحثاث الشديد .

(٣) العنس : الناقة القوية . والعلنداة : الغليظة . وناقة ذات معجمة : ذات صمن وقوة وبقية فى السير .

اعتمدت فى تثبيت النص كتاب الأغانى بتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، وانتفعت من الشروح المثبتة فى الكتاب فى تفسير ما صعب من الألفاظ .

٦ — تَزِيفُ إذا تواهقت المطايا

كما زافَ المشرَّف للخطار[١]

٧ — وإن ضربَتْ بلَحْيَيها وعامت

تفصَّمَ عنهما حَلَقُ السِّفَارِ

٨ — مِراحاً غيرَ ماضِغنٍ ولكنْ

لجاجاً حين تشتبه الصحارى

٩ — إذا ما استقبلت جَوْناً بِهيا

تفرَّجَ عن مُخَيَّسه حِصَارى[٢]

١٠ — إذا ما حال روضُ رُبابٍ دُرناً

وتثليثٍ فشأنكَ بالبكارى[٣]

١١ — وأنيابٍ سيُخْلِفُهنَّ سيفى

وشَدّاتُ الكمىِّ على النِّجارِ

١٢ — فإنْ أسطِعْ أُرِحْ منه أناسى

بضربة فاتكٍ غير اعتذارِ

١٣ — وإنْ يُفْلَت فإنى سوف ألقى

بنيه بالمدينةِ أو صِرارِ[٤]

---

(١) تزيف : تسرع فى تمايل . وتواهقت الإبل : مَدّ كلٌّ واحد عنقه فى السير وبارى الآخر .

(٢) الحصار : شيء كالوسادة ، يوضع على ظهر الجمل ويركب فوقه . والخيس : ما بداخل الحصار . وأصل الخيس : موضع التخييس وهو الحبس .

(٣) الرُّباب بضم أوله أكثر ما يأتى مضافا إلى الروض ، وهى رياض معروفة لبنى عُقيل . وتثليث من بلاد بنى عقيل أيضاً ، وهى تلقاء بيشة .

(٤) صِرار : بئر قديمة ، على ثلاثة اميال من المدينه ، تلقاء حَرّة واقم .

١٤ — ألا مَنْ مُبلِغٌ مَرْوَانَ عَنِّى
فإنى ليس دهرى بالفـرارِ

١٥ — ولا جَزِعٍ من الحدثان يوماً
ولكنى أرُود لكم وَبارِ(١)

١٦ — بهزمارٍ تراد العيسُ فيهـا
إذا أشفقن من قلق الصفار(٢)

١٧ — وهُنّ يُخشْنَ بالأعناق خوشـاً
كأنّ عظامَهنّ قِداحُ بارى

١٨ — كأن الرحلَ أسأرَ من قوَاها
هلالَ عشـيةٍ بعـد السُّرار(٣)

١٩ — رأيتُ وقد أتى بُحرانُ دونى
لليلى بالغُمَيم ضـــوء نار(٤)

٢٠ — إذا ما قلت : قد خمدتْ زَهاهاَ
عَصىّ الزَّنْد والعُصُف السوارى

---

(٩) وَبار : مبنى على الكسر ، مثل حذَام وقَطَام . ومنهم من يُعربه ولكنه لا يجرى ، وهى لغة بنى تميم ، وفى قول مالك مبنى ، وهى أرض لم يطأ أحدٌ ثراها .

(١٠) المزمرة : الحركة الشديدة ، ويريد بها الناقة الشديدة السرعة .

(١١) السؤر : البقية . والسِّرار : الليلة التى يَستَسِرُّ فيها القمر .

(١٢) فى بعض طبقات الأغانى : وقد أتى نجران . . وتهجر . والغميم : واد وقد أتى مصغراً فى شعر جرير والشماخ (انظر الغميم فى معجم ما استعجم) وبين بيت الشماخ وبيت مالك شبه حيث يقول الشماخ : لليلى بالغُمَيم ضوءَ نار .

٢١ — يشبُّ وقودُها ويلوح وَهْناً

كما لاح الشُّبُوب من الصوارى

٢٢ — كأن النارَ إذْ شُبّت لليلى

أضـــاءت جيدَ مُغْزِلة نُوَارِ

٢٣ — وتصطادُ القلوبَ على مطاَهـا

بلا جَعْد القرونـِ ولا قِصارَ

٢٤ — وتبسم عن نقيّ اللون عَذْبٍ

كما شـيف الأقاحى بالقُطـارِ (١)

٢٥ — أتجزع أنْ عرفتَ ببطن قوٌ

وصحـــراءِ الأديّم رسمَ دارِ ؟

٢٦ — وأن حَلّ الخليطُ ولستَ فيهم

مرابع بين ذَحْلَ إلى سرارِ (٢)

٢٧ — إذا حـلّوا بعالجـةٍ خَـلاء

تُقَطّف نَوْرَ حَنْوَتها العَذارى (٣)

---

(١) شيفَ : زين . القطار : المطر .

(٢) فى بلدان ياقوت (الذحل) . . . مرابع بين ذَحْـل . . . وفى معجم ما استعجم: دَحْـل، بفتح أوله واسكان ثانيه : وادٍ يتصل بسَرار ومن ديار بنى مازن.

(٣) الحنوة : نبت طيب الريح . وفى بعض نسخ الأغانى :

إذا حـلوا بمـالجة خلاءً تعطف كور حنوتها العـرار

والتصحيح من بلدان ياقوت [الذحل] . .

— ١٣ —

وقال مالك بن الريب يهجو مروان :

[من الطويل]

١ — لعمرك ما مَروان يقضى أمورَنا
ولـكنّ ماتَقضى لنا بنت جعفر

٢ — فيا ليتها كانت علينـا أمـيرةً
وليتك يا مَرَوَان أمسيت ذا حرِ

— ١٤ —

قال مالك فى مهربه — بعد أن قتل الأنصارى وغلامه — للبحرين ، ومنها انتقل إلى فارس ، فراراً من هذا الحدث :

[من الطويل]

١ — أحقًّا على السلطان : أما الذى له
فيُعْطَى ، وأمّا ما يُراد فيمنع

٢ — إذا ما جعلت الرمـل بينى وبينه
وأعرض سَهبٌ بين يَبْرِيْن َبلْقَعُ(١)

٣ — من الأُدَمَى لا يستجمّ بها القطا
تظـــــل الرياح دونه تتقطع(٢)

---

(١) السَّهْب : الفلاة،وقيل : ما بَعُدَ من الأرض واستوى فى طمأنينة.

(٢) أُدَمى : بضمّ أوله وفتح ثانيه بعده ميم مفتوحة أيضاً ثم ياء ، على وزن فُعَلى : موضع من بلاد بنى سعد .

٤ — فشأنكُمْ ياآل مروان فاطلبوا

سِقاطى فما فيه لباغيه مَطمعُ

٥ — وما أنا كالعَيْر للمقيم لأهله

على القَيْد فى بجبوحة الضيم يرتعُ

٦ — ولولا رسول الله أن كان منكمُ

تَبيّن مَن بالنصف يرضى ويقنع

— ١٥ —

من الطويل :

١ — وأنت إذا ما كنتَ فاعِلَ هذه

سِناناً فما يُلْقَى لَحِيْنك مَصْرَعُ(١)

— ١٦ —

قال مالك حين قتل غلام الأنصارى الذى كان يقوده :

[من الطويل]

١ — غلام يقول السيف يُثْقل عاتِقِى

إذا قادنى وسط الرجال الجحدل(٢)

٢ — فلولا ذباب السيف ظلّ يقودنى

بنِسْعَتِه شَثْن البنان حزَنبل(٣)

---

(١) المسانة : أن يتسمر الفحلُ الناقة قهراً ، والمعنى : فاعل هذه قهراً وابتساراً ويبدو أن هذا البيت ينتمى إلى القصيدة السابقة لوجود العلاقة القائمة بينه وبين الأبيات من حيث المعنى . .

(٢) البيت فى اللسان [جنحدل] وروايته · عَلاَمَ تقول . . . . الرجال الجَنَحْدلُ . وقال : والجنحدل القصير .

(٣) يقال : شثن البرائِن : خَشِنُها ، وكذلك يقال فى البنان . = والحزنبل من الرجال : القصير المُوَثَّق الخَلْق ، وقيل هو القصير فقط .

قالوا : وبينا مالك بن الريب ذات ليلة فى بعض هناته وهو نائم ، وكان لاينام إلا متوشحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدرى ماهو ، فانتفض به مالك فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه مالك فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق فى تلك الناحية ، فقال مالك فى ذلك :

[من البسيط]

١ — أدلجتُ فى مَهْمهٍ ما إنْ أرى أحداً
حتى إذا حان تَعْريسٌ لمن نَزَلا

٢ — وضعتُ جنبي وقلتُ الله يَـكْلؤنى
مهما تنَمْ عنك من عينٍ فما غفلا

٣ — والسيف بينى وبين الثوب مُشْعِرُهُ
أخشى الحوادث إنى لم أكنْ وَكَلا

٤ — مانمت إلا قَليلاً نمته شـئزاً
حتى وجدت على جُثمانىَ الثقَلا(١)

٥ — داهية من دواهى الليل بيّتنِي
مُجاهِداً يبتغى نفسى وماختلا

٦ — أهويتُ نفحاً له والليل ساتره
إلاّ تَوخيته وَالجَرْس فانخزلا

---

(١) الشئز : القلق .

٧ — لما ثنى الله عنّى شرَّ عَـدْوته
رقدتُ لا مُثبَتـاً ذُعراً ولا بعلا[(١)]

٨ — أوقدتُ نارى وما أدرى إذا لبـد
يغشَي المُهَجْهَجَ عَضّ السيف أورَجُلا[(٢)]

٩ — أما ترى الدار قفراً لا أنيس بهـا
إلا الوحوش وأمسى أهلهـا احتملاَ

١٠ — بين المُنيفة حيثُ استَنّ مَدْفعها
وبين فَرْدَةَ من وَحْشِيِّها قُبُلا[(٣)]

١١ — وقـد تقـولُ وما تخفى لجـارتهـا
إنّى أرى مالك بن الريب قد نَحَلا

١٢ — من يشهد الحرب يَصْـلاها ويُسعِرُها
تراه ممـا كَسَتْهُ شاحبـاً وَجلا

١٣ — خذها فإنى لضرَّاب إذا اختلَفت
أيدى الرجال بضربٍ يَختِلُ البطَلا

---

(١) البَـعل : البَرِم الذى لم يدر كيف يصنع ، وقيل : الدهش عند الروع.

(٢) يقال : هَجهج السَّبع وهجهج به : صاح ، وزجَـره ليكف . يعنى : الأسد يغشى مهجهجاً به فينصب عليه مسرعاً . وقيل المجهجة : حـكاية صوت الرجل إذا صاح بالأسد .

(٣) ورواية البيت فى معجم ما استعجم [المنيفة] . . وبين فَرْدَة من شرقيّها قَبُـلا . وفردة : ماءَة من مياه جَـرْم . والمنيفة : ماء لتميم على فَلج .

---

١٣ — البيت زيادة من نوادر أبى زيد الأنصارى ، والرواية فيها : بضرب يختل البصلا .

وقال مالك فى الحادثة المتقدمة أيضاً :

[من الكامل]

١ — يا غاسلاً تحت الظلام مَطيّةً
متخايلاً لا بل وغير مُخايل

٢ — إنّى أُنختُ لشائكٍ أنيابه
مستأنسٍ بدجى الظلام مُنازل

٣ — لا يَستريعُ عظيمةً يُرْمَى بها
حَصّاء تحسِرُ عن عظام الكاهل[1]

٤ — حَرباً تنصُّبُه بنبت هواجر
عارِى الأشاجع كالحُسام الناصِل

٥ — لم يَدرِ ما عُرف القصور وفيْؤُها
طاوٍ بنخل سوادِها المتمايل

٦ — يقظ الفؤاد إذا القلوب تآنست
جزعاً ونُبّه كل أروع باسل

٧ — حيث الدجى متطلعاً لغفوله
كالذئب فى غَلَس الظلام الخاتلِ

٨ — فوجدته ثبْتَ الجنان مشيَّعاً
ركّاب منسَج كل أمر هائل

٩ — فقراك أبيض كالحقيقة صارماً
ذا رونق يغشى الضريبة فاصِل

---

(١) يستريع : يتحير .

١٠ — فركبت رَدْعَك بين ثُنْيـا فائزٍ
يعـلو به أثرُ الدماء وشـائل[1]

— ١٩ —

ولمـا أحسّ بالموت قال يذكر ابنته شَهْلة[2] :

[من المتقارب]

١ — تُسـائل شَهْلةُ قُفّالهـا وتسـألُ عن مالكٍ ما فَعَلْ
٢ — ثوى مالك ببـلاد العـدوّ (م) تَسْفى عليه رياحُ الشَّمَلْ[3]
٣ — لذلك شهلةُ جَهّزتنى وقد حالَ دون الإيابِ الأَجلْ

— ٢٠ —

قال مالك بن الريب :

[من الرجز]

١ — إنا وجدنا طرْدَ الهَوَامِل خيراً من التَّأْنان والمسائلِ[4]
٢ — وعِدَّةَ العـام وعامٍ قابل ملقوحةً فى بطن نابٍ حائل[5]

---

(١) يقال للقتيل : ركب رَدْعه : إذا خرّ لوجهه على دمه ، وقيل ردعه : دمه . الثنيا : الرأس والقوائم . وشائل معطوفة على فائز .

(٢) كذا ورد الخبر فى معجم الشعراء / ٢٦٥ وأظن الخبر والأبيات تدل على أن شهلة هى زوجته لا ابنته .

(٣) أراد الشمال فحذف الألف .

(٤) التأنان : الأنين . وفى اللسان [برك] روى إبراهيم عن ابن الأعرابى أنه أنشد لمالك بن الريب :

إنا وجدْنا طردَ الهَـوامِـل والمشى فى البركة والمراجل

وقال : البركة : جنس من برود اليمن ، وكذلك المراجل .

(٥) يريد أنها عِدة لا تصح لأن بطن الحائل لا يكون فيه سقب مُلقحة .

— ٢١ —

وقال مالك بن الريب فى مهربه :

[من البسيط] :

١ ــ لوكنتمُ تُنكرون الغدر قلتُ لكم
يا آل مراونَ جارى منكمُ الحكَمُ

٢ ــ وأتقيكم يمين الله ضاحية
عند الشهود وقد تُوفَى به الذممُ

٣ ــ لا كنت أُحدث سوءاً فى إمارتكم
ولا الذى فات منى قبل ينتقمُ

٤ ــ نحن الذين إذا خفتم مُجلّلةً
قلتم لنا إننا منكم لتعتَصموا

٥ ــ حتى إذا انفرجت عنكم دُجُنّتها
صرتم كَجَرْمٍ فلا آلٌ ولا رَحِمُ(١)

— ٢٢ —

وقال مالك بن الريب :

[من الوافر]

١ ــ تذكرنى قبابُ التُّرك أهلى
ومبداهم إذا نزلوا سَناما(٢)

---

(١) فى حماسة ابن الشجرى / ٧٣ :
. . . إذا انفرجت عنا مخافتها صرتم كجذم . . .
(١) سنام : جبل مشرف على البصرة ، يعنى أنه لما نزل قباب الترك تذكر سناماً .

٢ — وصوتُ حمامةٍ بجبـال كسٍّ
دعَتْ مَع مطلع الشمس الحماما(١)
٣ — فبِتُّ لصـوتهـا أرِقاً وباتَت
بمنطقهـا تُراجعنـا الـكلاما

— ٢٣ —

كان مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان بن عفان (رضى) حين شخص إلى خراسان فبيناهم فى الطريق إذ فقد صاحب إبل سعيد الذى كان يحلب لهم واحتاجوا إلى اللبن . فاستدنى مالك بن الريب ناقة غزيرة ، فاحتلبها . فإذا هو أحسن الناس حلباً ، وأغزره دراً . فقال سعيد : هل لك أن تقيم فى إبلى وأجزل لك رزقاً مضـافاً إلى رزقك ، وأضع عنك الغزو . فأبى ذلك وقال(*) :

[من الطويل]

١ — إنى لأستحيِي الفوارس أن أُرى
بأرض العدا بوَّ المخاض الروائم(٢)
٢ — وإنى لأستحيِي إذا الحرب شمّرت
أن آرخيَ وقت الحرب ثوبَ المسالم
٣ — وما أنا بالثـانى الحفيظة فى الوغى
ولا المتّقِى فى السِّلْم جرَّ الجـرائم

(١) كِسّ ، بكسر أوله وتشديد ثانيه : مدينة تقارب سمرقند .
(٢) الرأم : الولد ، ويقال للبو والولد : رأم .

(*) اعتمدت فى تثبيت الأبيات كتاب الأغانى ، طبع دار الثقافة ، وقد وجدت بعض الاختلاف فى طبع ساسى وحماسة ابن الشجرى ٢٢ .

٤ — ولا المتأنى فى العواقب للذى
أهمّ به من فاتكات العزائم

٥ — ولكننى مستوحد العزم مُقْدِم
على غمرات الحادث المتفاقم

٦ — قليل اختلاف الرأى فى الحرب باسلٌ
جميع الفؤاد عند حلّ العظائم

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

— ٢٤ —

جاء فى بلدان ياقوت [طاسى] . قوله : طاسى بالقصر : موضع بخراسان كان لمالك بن الريب المازنى فيه وفى يوم النهى بلاء حسن، قاله السكرى فى شرح قوله :

ياقلَّ خير أمير كنت أتْبَعَهُ ... أليس يرهبنى أم ليسَ يرجونى
أم ليس يرجو إذا ما الخيل شَمَّصها ... وقعُ الأسنّة عطفى حين يدعونى
لا تحسَبَنَّا نسينا مِنْ تقادُمِهِ ... يوماً بطاسى ويومَ النهر ذى الطين(١)

— ٢٥ —

جاء فى ذيل أمالى القالى ١٣٥ : « قال مالك يذكر مرضه وغربته بعد أن مكث بخراسان إلى أن مات هناك ، ثم قال : وقال بعضهم : بل مات فى غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رمق . وقال آخرون : بل مات فى خان ، فرثته الجان لِماَ رأت من غُربته وَوَحْدته ، ووضعت الجنُّ الصحيفة التى فيها القصيدة تحت رأسه ، والله أعلم أى ذلك كان .

(١) فى معجم ما استعجم : [طاسى] ويوم النهى .

وقال اليزيدى فى أماليه /٤٤ بعد أن روى القصيدة [وفى روايته اختلاف ونقص فى بعض الأبيات] حدثنى محمد بن الحسن الأحول قال : سمعت المدائنى يقول : رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موته بسنة :

[من الطويل]

١ — ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً
بجنب الغَضا أُزجِى القِلاص النّواجيا(١)

٢ — فليت الغضا لم يقطع الرَّكبُ عَرْضَهَ
وليت الغضا ماشَى الركاب لياليا(٢)

٣ — لقد كان فى أهل الغضا لو دنا الغضا
مَزارٌ ولكنّ الغضا ليس دانِيا

٤ — ألم ترنى بعتُ الضلالة بالهُدى
وأصبحتُ فى جيش ابن عفّانَ غازيا(٣)

٥ — وأصبحت فى أرض الأعادىّ بعدما
أُرانىَ عن أرض الأعادىّ قاصيا(٤)

---

(١) الغضا : شجر ينبت فى الرمل ولا يكون غضا إلا فى الرمل .

(٢) الركاب : الابل .

(٣) يقول: بعت ما كنت فيهمن الفتك والضلالة بأن صرت فى جيش المسلمين .

(٤) البيت زيادة من أمالى القالى (الذيل ١٣٥) . وهو غير مذكور فى أمالى اليزيدى وجمهرة القرشى .

---

(٢) يضيف ياقوت فى معجمه [الغضا] بيتاً بين الثانى والثالث وهو :

وليت الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت ... بطول الغضا حتى أرى من ورائيا

وأشك فى نسبته إلى مالك .

٦ — دعانى الهوى من أهل أودَ وصُحبتى

بذى الطَّبَسَيْن فالتفتُّ ورائيا[1]

٧ — أجبتُ الهوى لما دعانى بزفرةٍ

تقنَّعْتُ منها أن أُلامَ ردائيا

٨ — أقول وقد حالت قرى الكُرد بيننا

جزَى الله عمْراً خيرَ ما كانَ جازيا[2]

٩ — إنِ الله يَرْجِعْنى من الغزو لا أرى

وإن قلّ مالى طالباً ما ورائيا[3]

١٠ — تقول ابنتى لما رأتْ طُولَ رحلْتى

سفارُكَ هذا تاركى لا أبا ليا[4]

١١ — لَعمْرى لئن غالَتْ خراسانُ هامتى

لقَد كنتُ عن بابَى خراسان نائيا

---

(١) أود : موضع . والطبسان : موضع بخراسان .

(٢) لم يذكر البيت فى جمهرة القرشى . وهو زيادة من أمالى اليزيدى/٤٠ وذيل أمالى القالى / ١٣٦ .

(٣) يريد : لا أسافر وأقيم وأقنع بما عندى . وهو أيضاً غير موجود فى الجمهرة ، وإنما ذكر فى أمالى اليزيدى وذيل امالى القالى .

(٤) تقول العرب : قم لا أبَ لك، ولا أبا لك، على توهم الإضافة ، والبيت زيادة من ذيل أمالى القالى ١٣٦ .

١٢ — فإن أنجُ من بابَى خُراسان لا أعُدْ
إليها وإن منَّيْتمُونى الأمانيا[1]

١٣ — فلله دَرّى يوم أتركُ طائعاً
بنىّ بأعلى الرقمتين وماليا[2]

١٤ — ودرّ الظباءِ السانحات عشيّةً
يخبّرنَ أنى هالكٌ مَنْ ورائيا

١٥ — ودرّ كبيرىّ اللذين كلاهُما
عَلىَّ شفيق ناصحٌ لو نهانيا

١٦ — ودرُّ الرجال الشاهدين تَفَتّكى
بأمرىَ ألا يَقْصُروا مِنْ وَثاَقيا[3]

١٧ — ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابتى
ودرّ لجاجاتى ودرّ انتهائيا

١٨ — تذكرتُ من يبكى علىّ فلم أجد
سوى السيف والرمح الرُّدينى باكيا

---

(١) البيت زيادة من ذيل أمالى القالى وجمهرة القرشى .

(٢) لله درّى : تعجب من نفسه حين فعل ذلك ، أى اغترب عن ولده وماله وأهله .

(٣) البيت زيادة من ذيل أمالى القالى والجمهرة .

---

١٤ — بعدهذا البيت يذكر صاحب العقدالفريد ٣/٢٤٥—٢٤٧، بيتاً هو :

تقول ابنتى لما رأت وَشْكَ رحلتى سفارك هذا تاركى لا أباليا

وفى فرائد القلائد ١٩٦ اختلفت رواية البيت فكانت :

تقول ابنتى إن انطلاقك واحداً إلى الروع يوماً تاركى لا أباليا

١٩ ــ وأشقرَ محبــوكاً يجُرُّ عنــانَه
إلى المـاء لم يترك له الموتُ ساقيا

٢٠ــ ولـكن بأكناف السمينةِ نِسوةٌ
عزيزٌ عليهن العَشيّة ما بيـا

٢١ ــ صريعٌ عــلى أيدى الرجال بقفرة
يُسوُّون لحــدى حيث حُمَّ قضائيا

٢٢ ــ ولـمـا تراءت عنــد مَرو منيتى
وخلَّ بها جسمى وحانت وفاتيا(١)

٢٣ ــ أقول لأصحــابى ارفعونى فإنه
يقرُّ بعينى إنْ سُهيلٌ بدا ليـا(٢)

٢٤ ــ فياصاحبَيْ رحلى دنا الموت فانزلا
برابيةٍ إنى مُقيمٌ ليـاليـا

٢٥ ــ أقيما علىَّ اليومَ أو بعضَ ليـلةٍ
ولا تُعجـلانى قد تَبيّن شانيـا

---

(١) خل : اختل واضطرب وهزل .

(٢) يريد : إن سهيلاً لا يرى بناحية خراسان، فقال: ارفعونى لعلى أراه فتقرّ عينى برؤيته لأنه لا يرى إلا فى بلده .

يضيف صاحب الحماسة البصرية بيتاً بعد البيت التاسع عشر ويقول عنه : أسقط هذا البيت من الجمهرة والاختيارين :

يقاد ذليلاً بعد ما مات ربه   يباع ببخسٍ بعد ما كان غاليا

وأشك فى نسبته .

٢٦ — وقوما إذا ما استُلَّ روحى فهيئا

لِيَ السِّدر والأكفان عند فنائيا

٢٧ — وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجعى

ورُدّا على عينيَّ فضلَ ردائيا[١]

٢٨ — ولا تحسدانى بارك الله فيكما

من الأرض ذات العرض أن تُوسعا ليا

٢٩ — خُذانى فجرّانى بثوبى إليكما

فقد كُنتُ قبلَ اليوم صَعْباً قياديا

٣٠ — وقد كنت عطّافاً إذا الخيل أدبرت

سريعاً لدى الهيجا إلى من دعانيا[٢]

٣١ — وقد كنتُ صبّاراً على القِرن فى الوغى

وعن شتمىَ ابن العمّ والجار وانيا[٣]

٣٢ — فطوراً ترانى فى ظِلالٍ ونعمةٍ

وطوراً ترانِى والعتاق ركابيا[٤]

---

(١) قال القالى فى الذيل : ويروى بأطراف الزجاج . ويروى : الرّماح لمصرعى .

(٢) وقال أيضاً : ويروى : إذا أحجمت . والهيجاء تمد وتقصر .

(٣) اضطربت رواية البيت فى المراجع التى ذكرت فيها القصيدة ، فقد وردت روايته فى أمالى اليزيدى وجمهرة القرشى بالشكل الآتى :

وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى . . وعن شتم ابن العم .

ثم ورد الشطر مع شطر آخر وهو : ثقيلاً على الأعداء عضباً لسانيا .

(٤) الطلال جمع طل ، وهو النّدى والريف والنعمة .

٣٣ — ويوماً ترانِي في رَحاً مستديرة
تُخرّق أطرافُ الرماحِ ثيابيا(١)

٣٤ — وقُوما على بئر السّمينة أسمعا
بها الغُرّ والبيض الحسان الروانيا

٣٥ — بأنكما خلّفتمانِي بقفـــرةٍ
تَهيلُ عليّ الريحُ فيهـــا السوافيا(٢)

٣٦ — ولا تَنْسَيا عهدى خَليليّ بعدما
تَقَطّعُ أوصالِي وتَبْلَى عظاميا

٣٧ — ولن يعدم الوالون بثّـاً يصيبهم
ولن يَعْدَمَ الميراث منّى المواليا(٣)

٣٨ — يقولون لا تبعد وهم يدفنوننى
وأين مكان البعد إلا مكانيا

٣٩ — غداةَ غَدٍ يالهف نفسى على غدٍ
إذا أدلجوا عنى وأصبحتُ ثاويا(٤)

٤٠ — وأصبح مالى من طريف وتالدٍ
لغيرى وكان المـــال بالأمس ماليا

---

(١) الرحى : موضع الحرب . ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال .
الروانى : النواظر . والرنو : النظر الدائم .

(٢) تهيل : تثير .

(٣) البث : أشدّ الحزن .

(٤) الإدلاج : السير من أول الليل .

٤١ — فياليت شعرى هل تغيّرت الرحا

رحا المثل أو أمست بفَلْجٍ كماهيا[١]

٤٢ — إذا الحيُّ حلُّوها جميعاً وأنزلوا

بها بَقَراً حُمَّ العيون سواجيا[٢]

٤٣ — رَعَيْن وقد كادَ الظلامُ يجُنُّها

يَسُفْنَ الخزامى مَرّة والأقاحيا

٤٤ — وهل أتركُ العيسَ العوالىَ بالضُّحى

بركبانها تَعْلُو المِتانَ الفيافيا[٣]

٤٥ — إذا عُصَبُ الركبان بين عُنيزةٍ

وبَوْلان عاجوا المُبقيات النواجيا[٤]

٤٦ — فياليتَ شعرى هل بكتْ أمُّ مالك

كما كنتُ لو عالَوْا نَعِيَّكِ باكيا

٤٧ — إذا مُتُّ فاعتادى القبور وسلمى

على الرَّمس أُسقيتِ السحابَ الغواديا[٥]

٤٨ — على جَدَثٍ قد جرّت الريحُ فوقَه

تُراباً كسَحْق المرْنَبانىّ هابيا[٦]

---

(١) المِـثل : موضع بفَـلْـج يقال له رحى المثل .

(٢) البقر : يريد بها النساء : جُمّ القرون : أى ليست لها قرون . وسواج : سواكن .

(٣) البيت غير مذكور فى أمالى اليزيدى . المتان : مفردها متن ، وهو المكان المرتفع .

(٤) المبقيات : التى يبقى سيرها ، والنواجى : التى تنجو بسيرها ، أى تسرع ، بولان وعنيزة : موضعان .

(٥ ، ٦) اختلفت رواية هذين البيتين فى المراجع التى وردا فيها ، شأنهما =

٤٩ — رهينة أحجارٍ وتُربٍ تَضَمَّنتْ
قرارتُها منّي العِظامَ البواليا[1]

٥٠ — فيا صاحبا إما عرضت فبَلِّغن
بنى مازن والريب أنْ لا تلاقيا

٥١ — وعَرِّ قلوصى فى الركاب فإنها
سَتَفلِقُ أكباداً وتُبكى بواكيا

٥٢ — وأبصرت نار المازنيات مَوْهِناً
بعلياء يُثنى دونها الطرفُ دانيا[2]

٥٣ — بِعود ألنجُوجٍ أضاء وُقودُها
مهاً فى ظِلال السِّدْرِ حوراً جوازيا

٥٤ — غريبٌ بعيدُ الدار ثاوٍ بقفرةٍ
يَدَ الدهر معروفاً بأن لا تدانيا

= فى ذلك شأن بقية أبيات القصيدة . وقد تجنبت الوقوف عند مواضع الاختلاف خشية الإطالة خوفا من السأم . والمرنبانى : كساء من خَز ، ويقال : مطرف من وَبَر الإبل .

(١) رهينة أحجار : أى فى القبر على التراب والحجارة .

(٢) الأبيات [٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤] غير موجودة فى أمالى اليزيدى وجمهرة القرشى .

---

٥١ — نسب البيت لجعفر بن علبة الحارثى ، وعلق عليه أبو الفرج فى الأغانى ١٣ / ٤٨ :

وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الريب فى قصيدته المشهورة التى يرثى بها نفسه .

٥٥ — أقلب طرفى حول رحلىَ فلا أرى
به من عيون المؤنسات مُراعيا
٥٦ — وبالرّمل مِنّا ِنسوة لو شَهدْننى
بَكَيْنْ وَفدّين الطبيبَ المداويا
٥٧ — وما كان عهد الرمل عندى وأهله
ذَميماً ولا ودَّعْت بالرمل قاليا
٥٨ — فمنهنّ أمى وابنتاى وخالتى
وباكيةٌ أُخرى تهيج البواكيا

ملاحظة : اعتمدت فى تثبيت هذا النص ذيل أمالى القالى ٢ / ١٣٥ ، وقد حاولت إبعاد النص عن الاختلافات الكثيرة التى لحقت به ، لكثرتها واضطرابها وتباين ألفاظها ، وسأقتصر على المراجع التى وردت فيها فى التخريج .

وفى اللسان [عرص] بيت نسب إلى مالك ، وهو :

تحمل أصحابى عشاءً وغادروا أخا ثقّة فى عَرْصة الدار ثاويا

الشعر المنسوب إلى مالك

— ١ —

قال مالك بن الريب يهجو الحجاج :

[من الطويل]

١ — فإن تُنصِفونا آلَ مروان نَقترِبْ
إليكم وإلاّ فأْذَنوا بتَعادِي[١]

٢ — فإن لنا عنكم مَراحاً ومزحلاً
بعيسٍ إلى ريح الفلاة صوادي

٣ — وفي الأرض عن دارِ المذلّة مذهبٌ
وكلُّ بلادٍ أوطِنتْ كبلادي

٤ — فماذا عسى الحجاج يبلُغُ جُهده
إذا نحن جاوزنا حفير زيادِ[٢]

٥ — فباسْت أبي الحجاج واست عجوزه
عُتَيِّد بُهم يرتعي بوِهاد[٣]

٦ — فلولا بنو مروان كان ابن يوسف
كما كان عبداً من عَبيدِ إيادِ

---

(١) في الكامل ٢/٤٤٦... فاذنوا ببعاد. وكذلك رواية الخزانة ٣/١٧٦.
(٢) في الكامل والخزانة . . فماذا ترى الحجاج .
(٣) العتيّد : تصغيرعتود، وهو كما في لسان العرب من أولاد المعز ما رعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .

٧ — زمانَ هو المقرى المُقرُّ بذلةٍ
يُراوحُ غلمان القُرى ويُغادى(١)

---

(١) فى الشعر والشعراء ١ / ٢٧١ والمعارف ٥٤٨ والكامل ٢ / ٤٤٧ والعقد ٥ / ١٣ والخزانة ٣ / ١٧٦ .. زمان هو العبد المقر ...

الأبيات [١ — ٧] منسوبة إلى مالك فى عيون الأخبار ١ / ٢٣٦ وعدا الخامس منسوبة إلى مالك فى الكامل ٢ / ٤٤٦ — ٤٤٧ وعدا الثالث والخامس منسوبة أيضاً إلى مالك فى الشعر والشعراء ١ / ٢٧١ .

ومن غير السابع مع زيادة بيت آخر مع اختلاف فى الألفاظ فى رواية بعض الأبيات فى حماسة أبى تمام (المرزوقى) ٢ / ٦٧٦ والتبريزى ٢ / ١٠٩ منسوبة إلى الفرزدق .

والأبيات [١ — ٤] مع بيت الزيادة المذكور فى الحماسة فى ديوان الفرزدق ١/ ١٦٠ (طبع صادر) .

وعدا الخامس والسابع مع بيت الزيادة منسوبة إلى السُبْرج بن خنزير التميمى. وقال عنه ياقوت (حفير زياد) : وكان السُبرج قد ألزم من قبل الحجاج البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه إلى الشام وقال :

والأبيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٧) منسوبة إلى مالك فى الخزانة ٣ / ١٧٦ ، والأبيات (٣ ، ٦ ، ٧) فى العقد الفريد ٥ / ١٣ وهى أيضا منسوبة إلى مالك .

والبيتان الأول والثالث نسبا إلى مالك بن الريب فى بهجة المجالس ٢٣٨/١ وهما كذلك فى محاضرات الأدباء ١ / ٣٣٧ .

وأعتقد أن نسبة الأبيات إلى مالك فيه وهم ، لأن مالك بن الريب مات قبل أن يتولى الحجاج بأكثر من ثمانية عشر عاما وقد أشرت إلى ذلك فى الدراسة التى قدمت بها المجموعه الشعرية .

— ٢ —

[من البسيط]

١ — هبّت شمالاً خريقاً أسقطت ورقاً
واصفرّ بالقاع بعد الخضرة الشيحُ

٢ — فارحلْ هُديت ولا تجعل غنيمتنا
ثلجاً تصفقه بالترمذ الريح

٣ — إن الشتاء عدوّ لا نقابله
فارْحل هديت وثوبُ الدفء مطروح

— ٣ —

١ — بَعُدْتُ وبيتِ الله من أهل قَرْقَرى
ومن أهل مَوْسُوج وزِدْتُ على البُعْدِ(١)

الأبيات (١ — ٣) فى بلدان ياقوت (ترمذ) نسبت إلى نَهار بن تَوْسعة يذمُّ قتيبة بن مسلم ويرثى يزيد بن المهلب ، وعلق ياقوت فقال : وتروى الثلاثة أبيات لمالك بن الريب فى سعيد بن عثمان بن عفان .

واظن أن الأبيات بعيدة عن شعر مالك فى روحها وألفاظها ومعانيها .

(١) فى بلدان ياقوت [قرقرى] :

بعدنا وبيت الله عن أرض قرقرى وعن قاع موحوش وزدنا على البعد

نسب البيت فى معجم ما استعجم إلى مالك بن الريب . ونسب البيت فى معجم البلدان إلى يحيي بن طالب الحنفى ، قال : كان يحيي بن طالب الحنفى مولى لقريش باليمامة ، وكان شيخا فصيحا دينا يقرئ الناس ، وكان عظيم التجارة . . فخرج إلى خراسان هاربا من الدين فلما وصل إلى قومس قال :

أقول لأصحابى ونحن بقومس ونحن على أثباج ساهمة جُرْدِ
بعدنا وبيت الله عن أرض قرقرى وعن قاع موحوش وزدنا على البعد

وأظن أن نسبة البيت إلى مالك فيه وهم .

— ٤ —

المستدرك :

وقال الوطواط فى غرر الخصائص الواضحة ٢١٤ : وأحسنُ ما لحق بهذا الفصل ما تلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه أبلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك بن الريب من أبيات :

[من الطويل]

بجيشٍ لهامٍ يشغل الطير جمعه   عن الأرض حتى ما يجدن منازلا

تخريج القصائد والمقطعات

— ١ —

البيت فى الشعر والشعراء ٣٥٣

— ٢ —

البيت فى اللسان (مدر)

— ٣ —

الأبيات (١ — ١٢) فى الأغانى ١٦٧/١٩ (ساسى)

— ٤ —

الأبيات (١ — ١٢) فى الأغانى ١٦٦/١٩ — ١٦٧ (ساسى)

— ٥ —

الأبيات [١ — ٣] فى بلدان ياقوت [جمران] ورويت بتسلسل مغاير في المصدر نفسه فى [حمران] . والثانى فى معجم ما استعجم [جُمدان] .

— ٦ —

البيت فى بلدان ياقوت [الحوش] و [غاف] .

— ٧ —

البيت فى البيان والتبيين ٣٧/٣ والشعر والشعراء ٣٥٥/١ وبهجة المجالس ٧٨٩ والخلاة للعاملى ٨٥ .

— ٨ —

البيتان فى التذكرة السعدية [مخطوطة فى خزانة الأستاذ الفاضل عبد الله الجبورى ، أمين مكتبة الأوقاف في بغداد] الورقة ٣٠ ب

— ٩ —

البيتان فى الحماسة البصرية ١/١٥٦

— ١٠ —

الأشطار فى حماسة البحترى (كمال) ٤٨

— ١١ —

الأبيات [١ — ٣] والخبر فى تاريخ الطبرى ٦/١٧١ والثالث والثانى مع اختلاف فى الرواية والخبر فى أنساب الأشراف ٥/١٢٠

— ١٢ —

الأبيات [١ — ٢٧] فى الأغانى ١٩/١٦٤ [ساسى] والأبيات [٣ ، ٤ ، ١٠ ، ١١] مع اختلاف فى الرواية فى حماسة ابن الشجرى /٥١ والبيت العاشر فى معجم ما استعجم [الرباب] والبيتان [١٤ ، ١٥] فى معجم ما استعجم [وبار] والبيتان [١٩ ، ٢٠] فى بلدان ياقوت [الغميم] والأبيات [٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧] فى بلدان ياقوت [الذحل] والبيت [٢٦] فى معجم ما استعجم [دخن] .

— ١٣ —

البيتان فى شرح نهج البلاغة ٢/٣٦٤

— ١٤ —

الأبيات [١ — ٦] فى الأغانى ١٩/١٦٤ [ساسى]

— ١٥ —

البيت فى اللسان [سنن]

— ١٦ —

البيتان فى المحبر / ٢٣٠ والأغانى ١٩/١٦٥ والأول فى اللسان [جنحدل]

— ١٧ —

الأبيات [١ — ١٢] فى الأغانى ١٩/١٦٥ والأبيات [٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢] فى نوادر أبى زيد .

— ١٨ —

الأبيات [١ — ١٠] فى الأغانى ١٩/١٦٥ ، ١٦٦

— ١٩ —

الأبيات [١ — ٣] فى معجم الشعراء ٢٦٥ والثانى وحده فى اللسان [شمل] غير معزو .

— ٢٠ —

الرجز فى غريب الحديث ١/٢٠٨ . وهما فى أساس البلاغة ٨٦٤ ، وغير منسوب فى الفائق [لقح] ٢/٤٧٠ وكذلك فى اللسان [لقح وأتن] والثانى وحده فى اللسان [بوك] .

— ٢١ —

الأبيات [١ — ٥] فى الأغانى ١٩/١٦٥ والأبيات عدا الثانى والثالث فى حماسة ابن الشجرى ٧٣ .

— ٢٢ —

الأبيات [١ — ٣] فى بلدان ياقوت [سنام] .

— ٢٣ —

الأبيات [١ — ٦] فى الأغانى ١٩/١٦٩ ، وعدا الخامس مع اختلاف فى الترتيب والرواية فى حماسة ابن الشجرى /٢٢ ، والبيتان الأول والخامس مع الخبر فى تذكرة ابن حمدون [مخطوطة فى معهد الدراسات الإسلامية بجامعة بغداد] الجزء الأول الورقة ١٥٧ وعدا الأول والثانى فى التذكرة السعدية ٢٤ ب .

— ٢٤ —

الأبيات [١ — ٣] فى بلدان ياقوت [طاسى] والثالث وحده فى معجم ما استعجم [طاسى] .

— ٢٥ —

الأبيات [١ — ٥٨] فى ذيل أمالى القالى / ١٣٥ ، وعدا الخامس والعاشر والبيت [٤٤] و [٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨] فى أمالى اليزيدى ٣٨ — ٤٤ وعدا الأبيات [٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤] فى جمهرة القرشى ٢٦٩ [صادر] .

والأبيات [١ ، ٢ ، ٤ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨] فى الشعر والشعراء ٣٥٤ .

والأبيات [١ ، ٢ ، ١٣ ، ٢٠ — ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ — ٤٢ ، ٤٥ — ٤٧ ، ٥٥ — ٥٨] وثلاثة أبيات زائدة فى معجم البلدان [الرقتان] و [السمينة] و [الطبسان]

و [الغضا] و [مرو] و [الشبيكة]و [المثل] و[رحا المثل] و [بولان] مع اختلاف فى الرواية .

والأبيات [١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ — ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٧ — ٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٨ ، والبيت العاشر برواية مخالفة] ورواية الأبيات فيها اختلاف كثير عن رواية الأمالى المثبتة فى الأصل .

والأبيات [١ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ — ٣٨ ، ٤٠ — ٥٠ ، ٥١ ، وبيت زائد ، ٥٦ ، ٥٨] فى الحماسة البصرية ٢٧٨/١ مع اختلافات كثيرة فى رواية الأبيات .

والأول وحده فى أمالى المرتضى ٣٠٤/٢ ، جمع الجواهر للحصرى ٢٠٢ .

والسادس فى معجم ما استعجم [أود] و [توضح] واللسان [طبس] .

والأبيات [١١ ، ٣٨ ، ٥٦] فى معجم الشعراء ٢٦٥ والبيت [١٣] فى معجم ما استعجم [الرقتان] ، والبيت [٢٠] فى معجم ما استعجم [الشبيكة] واللسان [شبك] .

والبيت [٢٣] فى الأزمنة والأمكنة ٣٢١/٢ ، والبيت [٢٧] فى جمع الجواهر للحصرى والبيت [٣٤] فى معجم ما استعجم [السمينة] .

والبيت [٣٨] فى المحكم ٣٤/٢ وفى اللسان [بعد] وخزانة الأدب ٣٠٣/٢ ، ٣٧٨/١ ولم ينسب فى المخصص ٥٣/١٢ .

والبيت [٤١] فى كتاب سيبويه ٤٧٨/١ واللسان [مثل] والخزانة ٥١٩/٤ .

والبيت [٤٥] فى معجم ما استعجم [عنيزة] .

والبيت [٤٧] فى رسالة الملائكة لأبى العلاء ١٨ ، وشروح سقط الزند ١٦٨٧/٤ واللسان [ريم] .

والبيت [٤٨] فى أساس البلاغة ١٠٤٨ واللسان [هبا] .

والبيت [٥١] فى أساس البلاغة غير منسوب ونسب فى شمس العلوم ١٥١ .

والبيت [٥٥] فى الحماسة البصرية ٢٨٠/١ .

والبيت [٥٦] فى الأشباه والنظائر /١٤ .

والبيت [٥٨] فى الحماسة البصرية ٢٨٠/١ .

كشاف المراجع

الأصفهاني : أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشي الأموى (ت ٣٥٦ هـ)

١ — الأغاني [ساسى] و [دار الثقافة] .

البحترى : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى (ت ٢٨٤ هـ)

٢ — الحماسة — القاهرة — المطبعة الرحمانية — ١٩٣٩

ضبط وتعليق كمال مصطفى

البصرى : صدر الدين بن أبى الفرج بن الحسين (ت ٦٥٩ هـ) .

٣ — الحماسة البصرية — حيدر آباد — ١٣٨٢ — ١٩٦٤

اعتناء وتصحيح مختار الدين أحمد

البغدادى : عبد القادر بن عمر (١٠٩٣ هـ)

٤ — خزانة الأدب ولب لباب العرب — بولاق — ١٢٩٩

البكرى : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧ هـ)

٥ — معجم ما استعجم — لجنة التأليف — القاهرة — ١٩٤٥ — ١٩٥١ .

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا .

التبريزى : أبو زكريا الخطيب ، والبطليوسى ، والخوارزمى .

٦ — شروح سقط الزند — دار الكتب — القاهرة — ١٩٤٥

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا والأستاذ عبد السلام هارون وغيرهما .

٧ — حماسة أبي تمام — بولاق —١٢٩٦

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ ﻫ)

٨ — البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون — القاهرة — ١٩٤٨ — ١٩٥٠ .

ابن أبي الحديد : عز الدين أبو حامد بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٥ ﻫ) .

٩ — شرح نهج البلاغة — مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٣ — ١٩٦٤ .

ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت — ٢٤٥ ﻫ)

١٠— المحبر . تحقيق ايلزه ليختن شتير . حيدرآباد الدكن ١٩٤٢

الحميري : الأمير علامة اليمن أبو سعيد نشوان (ت ٥٧٣ ﻫ) .

١١— شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ليدن — ١٩١٦ .

تحقيق عظيم الدين أحمد

الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم (ت ٣٨٠ ﻫ) ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم (ت ٣٩١) .

١٢— الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين لجنة التأليف والترجمة — القاهرة — ١٩٥٨

تحقيق الدكتور محمد يوسف .

الزمخشري : جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ ﻫ)

١٣— أساس البلاغة — دار الكتب — ١٣٤١

١٤— الفائق فى غريب الحديث — القاهرة — ١٩٤٥
تحقيق البجاوى وأبى الفضل .
أبو زيد الأنصارى : (ت ٢١٥هـ)
١٥— النوادر — تعليق سعيد الخورى الشرتونى .
المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٨٩٤ .
ابن سيده : أبو الحسن على بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)
١٦— المخصص — الأميرية — بولاق — ١٣٢٠
ابن الشجرى : أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد (٥٤٢ هـ)
١٧— الحماسة — حيدر آباد — الهند — ١٣٤٥
الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
١٨— تاريخ الرسل والملوك — دار المعارف — ١٩٦١
تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم .
العاملى : (ت ١٠٠٣ هـ)
١٩— المخلاة : مطبعة البابى الحلبى — مصر — ١٩٥٧
أبو عبيد : القاسم بن سلام الهروى (ت ٢٢٣ هـ أو ٢٢٤)
٢٠— غريب الحديث — حيدر آباد — الهند — ١٣٨٤
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
٢١— الشعر والشعراء — دار المعارف — مصر .
٢٢— عيون الأخبار — دار الكتب — القاهرة — ١٩٢٨
— ١٩٣٠ .

المرزبانى : أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٧٨ هـ)

٢٣— معجم الشعراء — دار إحياء الكتب العربية — مصر — ١٩٦٠ .

تحقيق عبد الستار فراج .

المرزوقى : أبو على أحمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ)

٢٤— شرح ديوان الحماسة لأبى تمام — القاهرة — ١٣٧١ — ١٩٥١ .

تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون وأحمد أمين .

٢٥— الأزمنة والأمكنة — حيدر آباد — الدكن — ١٣٣٢

المعرى : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى (ت ٤٤٩ هـ)

٢٦— رسالة الملائكة — المطبعة التجارية — بيروت

تحقيق لجنة من العلماء .

ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ)

٢٧— معجم البلدان — لايبزك — ١٨٦٦ — ١٨٧٠

تحقيق فرديناند — فيستنفيلد .